

## المنصفون للإسلام من جوته إلى جارودي إ

عندما يذكر المنصفون للإسلام في الغرب فلا بد أن يكون في مقدمتهم الشاعر والكاتب الألماني العظيم جوته. فهو أول من اعترف بأنه مدين بشاعريته للشرق الذي منحه (الثراء الروحي) كما كان يقول. وهو أول من أعلن أن الدعوة إلى انفعال الشرق الإسلامي عن الغرب المسيحي دعوة باطلة، وأن الإنسان العاقل هو الذي يأخذ من الجانبين وينظر إلى الأمور بحكمة وبتناسع أفق. وهو أيضا أكبر من اعترف صراحة بفضل الثقافة والعلوم العربية والإسلامية على أوروبا. وكان مدافعا قويا عن الإسلام في مواجهة الكراهية التي كانت سائدة في الغرب لكل ما يمت للإسلام بصلة.

وتزداد قيمة جوته عندما نعرف أن دعوته إلى إنصاف الإسلام والاعتراف بقيمته في إثراء الحضارة الإنسانية، جاءت في وقت كان قد تم طمس هذه الحقيقة من عقول الغربيين جميعا، ويستثنى من ذلك قلة قليلة مثل الكاتب الألماني (ليسنج - ١٧٢٩ - ١٧٨١م) الذي كتب رواية مشهورة بعنوان (ناتان الحكيم) تدور حول فكرة أساسية هي أن الأديان السماوية الثلاثة جاءت برسالة واحدة.. ورمز لذلك بأسرة فيها ثلاثة أخوة أشقاء لأب واحد.

ومثل المؤرخ الألماني (يوهان هيردر ١٧٤٤ - ١٨٠٣م) الذي اعترف بأن المسلمين أقاموا مئات السنين في أوروبا فكانت علومهم وفنونهم هي المنهل الذي بدأ الغرب نهضته منها. ويقول: (لقد هبت على أوروبا - عن طريق المسلمين - رياح الدين والشرف وتذوق الجمال فزرعت في تربة الغرب هذه القيم إلى جانب الدين المسيحي.. ولقد تعلم الغرب الكثير من المسلمين خلال الحروب الصليبية. ومثل الأديب الألماني الكبير (الكسندر هومبولدت ١٧٦٩ - ١٨٥٩م) الذي أوضح كيف كان للعرب والمسلمين الفضل في التطور العلمي والثقافي للغرب.



وفى كتاب للباحثة الألمانية د. كاترينا ممسين بعنوان (جوته والإسلام) - ترجمته شيرين حامد فهمى وأصدرته مكتبة الشروق الدولية - بحث دقيق عن بداية تعرف الغرب إلى العالم الإسلامى فى العصر الحديث- بعد عصر النكران لفضل المسلمين- وكان ذلك بصدور أول ترجمة لرواية ألف ليلة وليلة باللغة الفرنسية. فاندلعت شرارة الولع بهذه الرواية وانتشرت ترجماتها فى سائر لغات أوروبا، حتى لم يعد فى أوروبا كلها من لم يقرأها مرة واحدة على الأقل، وألهمت العديد من كتاب وشعراء الغرب بما فيها من سحر وإثارة وخيال، ومازال هذا السحر باقيا إلى اليوم، حتى إن المستشرقة الألمانية العظيمة (أنا ماري شيمل) كتبت قصيدة عن الروحانية التى تأثرت بها فى ألف ليلة قالت فيها:

لقد جعلتني أحلم فى ألف ليلة وليلة..

مدينة التوابل والذهب..

الآن استيقظت وأفقت، فذهبت الألوان وبهتت..

إلا أنه مازال باقيا هناك البخور يملأ الطرقات..

وكان تأثير ألف ليلة وليلة كبيرا على الشاعر الألمانى العظيم جوته، وقال: إنه كان يعيد قراءتها بين حين وحين نون أن يشعر بملل. وكان جوته مولعا بالشعر العربى القديم وبخاصة القصائد السبع المشهورة باسم (المعلقات) وقد ترجمت إلى اللغة الإنجليزية كنموذج للشعر الكلاسيكى العربى قبل الإسلام. ومنها تعمق جوته فى دراسة الشعر العربى حتى إنه كتب عن الشاعر العربى (أبى تمام) وغيره، وانتشل بترجمة الشعر العربى إلى اللغة الألمانية حتى إنه وهو فى عامه الواحد والثمانين، وقبيل وفاته بعام، كان يحكى عن انشغاله باللغة العربية فى شبابه وكانت ذاكرته تحتفظ بالكثير من أبيات الشعر العربى، وكان إعجابه باللغة العربية شديدا حتى أنه اعتبرها اللغة الوحيدة التى تتمتع بالانسجام بين الروح، والكلمة، والخط، ففيها تناسق غريب لا تجده فى لغة أخرى.



وتتحدث د. كاترينا ممسين عن إعجاب جوته بالقرآن، وتأثر كثير من كتاب الغرب بذلك حتى إن (هيردر) عالم الدين البروتستانتى يعترف بأن (تلك اللغة القرآنية المقدسة أعجوبة العجائب). وكان مفهوم (التسامح) هو الذى جذب جوته إلى الإسلام. ولكى يفهم لغة القرآن تعلم اللغة العربية والخط العربى. وكان يصف لغة القرآن بالقوة والعظمة والرهبة والسكون فى خليط عجيب.. وتذكر د. كاترينا ممسين أمثلة من كتابات جوته ورسائله التى تدل على مدى احترامه للإسلام؛ فقد كتب رسالة وهو فى الثانية والعشرين من عمره قال فيها: (أريد أن أدعو كما دعا موسى ربه فى القرآن ﴿رَبِّ أَسْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ (طه: ٢٥) مما يدل على أنه قرأ القرآن وتأثر به. وعندما بلغ السبعين



وقدم جوته بعد ذلك (أغنية محمد) التي تعتبر أول تبجيل للرسول - صلى الله عليه وسلم - من شاعر أوروبي.

وفى هذه الأغنية يظهر انبهار جوته بشخصية النبي - صلى الله عليه وسلم -، ثم انبهاره بجهاده وعدم اكتفائه بالدعوة وكفاحه لتأسيس مجتمع قائم على مبادئ الدين الذي جاء به، وربط بين النبي - صلى الله عليه وسلم - المعلم الروحي والنبي الإنسان ذي الصفات العالية، ويعكس جوته في أشعاره عموماً إعجابه بما في شخص الرسول - صلى الله عليه وسلم - من المزج بين الشخصية التي تؤسس ديناً جديداً، وبين نفس الشخصية وهي تكرر جهدها لتربية البشر روحياً. وجاء في أشعار (الدراما المحمدية) الكثير من تعبيرات الإعجاب والتقدير للرسول - صلى الله عليه وسلم - مثل :

بين مضائق الجبال سار

ويخطى أقدام القائد شد معه أصحابه

تنتعش الورود تحت أقدامه

وفى غير ظله لا توجد الورود

وها هو ذا يسير في الوادي متلاًئلاً بهياً

والأنهار والجداول تهتف به صائحة: يا أخانا

خذ إخوتك وخذنا معك إلى ربك الدائم

والآن يعلو ويكبر ويحمل معه الأمراء

وفى وسط انتصاراته دانت المدن تحت قدميه وهو يسير تاركا الترف والثراء

لا يعبأ بهما.. وهكذا حمل أصحابه وأطفاله

ولا يكتب هذه الصورة المليئة بالتقدير إلا من يؤمن بأن محمداً - صلى الله عليه وسلم - رسول بحق وأن دينه هو دين الحق. وتذكر كاترينا ممسين مواقف كثيرة تدل على اعتقاد جوته بالتسليم لله كما في العقيدة الإسلامية؛ ففي عام ١٨٢٠م مرضت أخته غير الشقيقة بمرض خطير فكتب إلى صديق له: (لا أستطيع إلا أن أقول: إننى أجد نفسى - مرة أخرى - باحثاً عن الإسلام) وفى عام ١٨٣١ انتشر وباء الكوليرا فكتب: (هنا لا يستطيع أحد أن ينصح غيره فيما يفعله. فنحن جميعاً نعيش فى الإسلام الذى يعطينا الشجاعة فى مواجهة الحياة). وقيل موته بأربعة أسابيع - وهو فى عامه الثانى والثمانين - كتب: (من أجل أن يتحرر البشر من الخوف. انتهوا بإلقاء أنفسهم فى حضن الإسلام واثقين فى الله وفى أقداره غير المكشوفة لنا). فهو مؤمن بما فى الإسلام من الخضوع لله والرضا بما كتبه، ويعبر عن ذلك بقوله: (إنه لمن اللافت للانتباه أن ترى كيف كان المؤمنون بمحمد - صلى الله عليه وسلم - يقومون بتربية الأجيال المسلمة، وكان الدرس الأول

هو تثبيت عقيدة القضاء والقدر ، والإنسان لا يواجه أمراً إلا وقد كتبه الله له ، ومن ثم يعيشون حياتهم آمنين مطمئنين).



ولقد واجه جوته الكثير من الانتقادات والاتهامات لإعجابه بالإسلام ، ومعارضته للتيار العدائى الغالب للإسلام وللرسول - صلى الله عليه وسلم - وكان رده على ذلك فى كتاب (المقولات) بأبيات قوية وصريحة قال فيها :

من حماقة الإنسان فى دنياه

أن يتعصب كل منا لرأيه

وإذا كان الإسلام معناه التسليم لله

فعلى الإسلام نحيا ونموت أجمعين



هل كان الشاعر العظيم جوته معجباً بروحانية الإسلام فقط، وهو الذى نشأ فى أسرة بروتستانتية، أو كان مسلماً بقلبه كما يقول البعض؟.

تقول الباحثة الألمانية د. كاثرينا ممسين: إن جوته عندما أصدر (ديوان الغرب والشرق) فى مايو ١٨١٤ تار معظم الألمان عليه لأن هذا العمل لا يصدر إلا عن شخص على علاقة روحية وثيقة بالإسلام، ثم ازدادت ثورتهم عليه عندما قال بعد ذلك بعامين أى فى عام ١٨١٦: (إن مؤلف هذا العمل لا ينفى الفكرة بأن يكون هو نفسه مسلماً). وهو يتحدث فى هذا الديوان عن الأصالة الدينية فى الشرق، وعن رغبته فى تجاوز التناقضات العدائية بين الديانتين، والجمع بين هذين العالمين تحت مظلة واحدة، كما يتحدث فيه عن شخصيات إسلامية أحبها مثل: السلطان سليم، والمتنبى، وحاتم الطائي، والفردوسى وغيرهم.



ويبدو فى ديوان الغرب والشرق أن جوته كان دارساً للقضايا التى شغلت المفكرين المسلمين على مدى العصور فهو على سبيل المثال يشير إلى المعركة التى قامت حصول (هل القرآن مخلوق أو هو قديم) والتى تعرض فيها الإمام أحمد بن حنبل للتعذيب لأنه تمسك برأيه فى أن القرآن قديم. يقول جوته فى إشارته إلى (القرآن المقدس):

هل القرآن قديم؟

شئ لا أسأل عنه

هل هو مخلوق؟

شيء لا أدريه

وكثير من أبيات الديوان عن القرآن، فهو يستلهم من الآية (اهدنا الصراط المستقيم..) في سورة الفاتحة مناجاته:

ينازعني الغي والضلال

لكنك تعرف كيف تهديني

اهدني أنت في أعمال الصراط المستقيم

ويردد جوته الآية: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَوَجَّهُ اللَّهُ﴾ (البقرة ١١٥) فيقول:

لله المشرق

لله المغرب

وله الأرض شمالا وجنوبا

وكان جوته يعبر دائما عن حبه للحروف العربية والخط العربي.

وفى كتابات جوته ما يدل على تأثره بالقرآن ويقول: إنه كتاب ليس له مثيل على وجه الأرض ولا مثيل لما فيه من ذكر لأسماء الله الحسنی، وقد رأى في القرآن الرؤية الإسلامية للذات الإلهية، كما كان أسير الإعجاب بشخصية الرسول - صلى الله عليه وسلم - ويقول: إنه جمع بين الإنسان والنبی.

وقد اكتشف أحد الباحثين مخطوطة ديوان لم ينشر كتبه جوته بعنوان (بعثة محمد) نشرت في باريس عام ١٩٠٧م يقول فيها:

حينما كان يتأمل في الملكوت

جاءه الملاك ومعه النور

اضطرب، فهو لم يقرأ أبدا

كلمة (اقرأ) تعنى الكثير بالنسبة له

لكن الملاك بلغه الرسالة وبدأها بالأمر (اقرأ)

واستمع إلى الأمر.. وبدأ طريقه



وعلى رغم إعجاب جوته بالإسلام وكتابه ورسوله، فإنه يوجه اللوم إلى المسلمين لابتعادهم عن روح الإسلام، ويوجه هذا اللوم إلى المسيحيين أيضا ويتهمهم بالابتعاد عن روح المسيحية، مقارنا

بين ما كان عليه المسيحيون عند ميلاد المسيحية وما صاروا إليه بعد ذلك، عندما تحولت الكنيسة إلى سلطة سياسية وانشغالها بجمع الأموال وتملك الأراضي وبحثها عن أمور الدنيا. وهو ينتقد الانقسام الذين حدث بين الكاثوليك والبروتستانت. وفي ذلك كتب في عام ١٨١٦م يقترح إقامة احتفال واحد يجمع المؤمنين بالأديان جميعاً أسماه (احتفال الإنسانية النقية) وفيه لا يُسأل أحد عن دينه، (الجميع يذهبون يتلمسون الضوء من شعاع واحد، وتسمو أرواحهم، ويتذكر كل منهم عيده فيحتفل به).

ولقد كان تأثير جوته عظيماً وما زال كذلك حتى اليوم، فقد تأثر به الشاعر الروسي الكبير ألكسندر بوشكين (١٧٩٩-١٨٣٧م) والشاعر البولندي آدم ميليفكس (١٧٩٨-١٨٥٥) فكانت أشعارهما تعكس تعاطفاً تجاه العالم الإسلامي، وامتدت أصداء شعر جوته إلى آسيا فتأثر به الشاعر والفيلسوف الباكستاني محمد إقبال (١٨٧٧-١٩٣٨م) وله كتاب شهير باسم (سفارة الشرق) يعتبره النقاد الصافي لديوان الغرب والشرق.

كيف لم تترجم كل أعمال جوته إلى اللغة العربية؟ وكيف لم تفكر منظمة العالم الإسلامي، أو الجامعات الإسلامية بالاحتفال بذكرى هذا الشاعر والمفكر الألماني الكبير الذي يحتل مكانة عالمية كبرى؟ وكيف يكون أعظم من أنصف الإسلام في الغرب مجهولاً في العالم الإسلامي؟.

أسئلة تحتاج إلى إجابات من قيادات المنظمات والجامعات في الدول الإسلامية.



وأشهر من أنصف الإسلام في الغرب في القرن العشرين هو بلا شك الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي الذي كان في البداية من أكبر المتحمسين للشيوعية ولللسفة الماركسية المادية، لكنه أصيب بصدمة عندما اكتشف زيف الشيوعية في عام ١٩٥٦ بعد أن كشف الرئيس الروسي خروشوف فضائح عهد ستالين والجرائم التي كانت ترتكب باسم الدفاع عن مصالح الطبقة العاملة، فأيقظه ذلك من غفوته كما يقول، وبعد أن كان يعتقد أن الدين أفيون الشعوب كما في الماركسية، بدأ يستعيد وعيه فيرى أن الغرب يجب أن يعترف بأنه مدين للحضارات الأخرى السابقة على حضارته، ثم قاده البحث في الحضارات التي كان لها الفضل في نهضة أوروبا إلى مرحلة أعلن فيها أن الإسلام هو الطريق لإنقاذ البشرية.

في طفولته تعلم جارودي في المدرسة الأكليريكية، وفي شبابه كان مسيحياً-متديناً، وحارب النازية لأنه كان يعادي كل فكر عنصري يدعي أن هناك جنساً متفوقاً على سائر أجناس البشر، لكنه تمرد على المسيحية وانضم إلى الحزب الشيوعي الفرنسي في وقت كان العالم يعيش فيه مرحلة صراع مع النازية، ويعانى من أزمة اقتصادية خانقة، رأى جارودي - وفقاً للنظرية الماركسية - أن

هذه الأزمة وليدة النظام الرأسمالي، وبعد ذلك اكتشف أن الماركسية ترفض عبادة الله وتدعو إلى عبادة ستالين، وتفرض على دول الاتحاد السوفيتي ستارا حديديا يمنعها من التواصل مع العالم كما تفرض على العقول ستارا حديديا يمنعها من التفكير الحر. وفي هذه المرحلة من تطور شخصيته نشر كتابه (التحول الكبير للاشتراكية)، قال فيه: (لم يعد من الممكن التزام الصمت، إن الحركة الشيوعية الدولية في أزمة، ومن الظواهر الواضحة لهذه الأزمة انفصال الصين، وغزو الاتحاد السوفيتي تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨، وهناك مشكلة تفرض نفسها على كل فرد منا في نهاية القرن العشرين، يتوقف على حل هذه المشكلة احتضار العالم أو بعثه من جديد.. إن الشيوعية لم تنجح في دول أمريكا اللاتينية إلا في كوبا فقط، وفي أفريقيا لا توجد دولة شيوعية، وفي إندونيسيا قضى على الحزب الشيوعي، وفي الهند واليابان يعاني الحزب الشيوعي من الضعف والانقسامات، لقد أصبحت (المراجعة الأليمة) أمرا لا مفر منه).

وبدأ جارودي - كمفكر - رحلة الشك بحثًا عن اليقين بدراسة الأديان إلى أن توقف عند الإسلام لدراسته كدين وحضارة، وقارن بين ما في القرآن من الإشارات العلمية والاكتشافات العلمية الحديثة، وعبر عن هذه المرحلة من حياته قائلا: كلما تعمقت في الدراسة والمقارنة ازدادت اقتناعا بأن الإسلام هو الدين الذي أبحث عنه.

وأعلن جارودي إسلامه في شهر رمضان عام ١٩٨٢ وأصبح اسمه رجاء جارودي، وأصدر كتابه الشهير (وعود الإسلام) فكان ذلك الكتاب بداية حرب شعواء شنت عليه من أكثر من جهة، خاصة أنه قد أعلن في كتابه هذا (أنه لا توجد اليوم أمة تحمل كلمة الله بأمانة وصدق غير الأمة الإسلامية، ولا يوجد كتاب سماوي يمثل كلمة الله بحق دون تحريف إلا القرآن، ولا أمل في إنقاذ الغرب إلا بأن يعترف بأنه مدين لحضارات أخرى ويغير موقفه المتعنت من الإسلام. لأن الغرب الذي رفض روحانيات الإسلام هو اليوم أحوج ما يكون إليها، ورفض الغرب عقيدة التوحيد وغرق في السادة فانتهى به الأمر إلى خواء روحى وتمزق بين الأيديولوجيات.. والإسلام ليس كفراً كما روح المغرضون القدامى في الحرب الصليبية، وليس إرهاباً كما يصوره المغرضون الجدد.. إنه الدين العملى الذى يقدم للإنسان نظاماً كاملاً شاملاً لحياة إنسانية بكل احتياجاتها، وليس مجرد عقيدة منعزلة عن دنيا الناس).



ويركز جارودي على أن الإسلام هو الدين الذى يعترف بالديانات السماوية، وقد ترك الإسلام لأهل الكتاب حرية الاختيار بين ما هم عليه وبين الدخول في الإسلام. والإسلام لم يقل (أفضل الناس عند الله المسلم) ولكنه قال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات ١٣). والمبدأ الذى قرره

الرسول - صلى الله عليه وسلم - سيق به الدعوة إلى حقوق الإنسان بقرون وهو: (لا فضل لعربى على أعجمى، ولا لأعجمى على عربى إلا بالتقوى) فليس فى الإسلام تمييز على أساس اللون أو الجنس أو العقيدة، وليس فيه طبقية، وليس فيه شعب مختار متميز عن غيره من الشعوب.. هو دين ضد العنصرية. ويذكر التاريخ أن كثيرا من المسيحيين واليهود تقلدوا مناصب عليا فى الدولة الإسلامية فى عصورها المختلفة، وأن هؤلاء كانوا يمارسون شعائرهم الدينية بحرية كاملة وتحت حماية الدولة وحماية المسالمين. وهذا يقود إلى إثبات أن الإسلام لم يكن فى حاجة إلى السلاح لى ينتشر، فقد دخل الناس فى هذا الدين عن رضا وقبول وكان فى إمكانهم ألا يعتنقوا الإسلام دون أن يتعرضوا لأى نوع من الأذى.

وقد تولى جارودي فى كتابه (وعود الإسلام) تفنيد الاتهامات التى تتردد فى الغرب ضد الإسلام.

فهو يواجه الاتهام بأن الإسلام دين جهاد أى دين حرب واستعمار، فيقول: إن الجهاد فى اللغة العربية له معنى أوسع من معنى الحرب، فهو يعنى الجهد، فالعمل جهاد، ولو أن الله - تعالى - أراد الحرب لقال: (وحاربوا فى سبيل الله) والمعنى الحقيقى للجهاد يبدو فى الحديث (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر.. جهاد النفس) و جهاد النفس ضد أهوائها ونزعاتها من الأنانية والجشع للمال والضعف أمام المغريات الحسية.. وهذا درس من النبى - صلى الله عليه وسلم - لأولئك الثوريين الذين يحاولون تغيير كل شىء إلا أنفسهم..

ويذكر جارودي كيف كان الصليبيون يرتكبون فى القدس المذابح الوحشية ضد المسلمين ويصيحون (إنهم كفرة). وكيف أقيمت المذابح للمسلمين بالجملة فى أسبانيا (الأندلس)، وكيف كان المهاجرون الأوروبيون يرتكبون أبشع الجرائم لقتل الهنود الحمر فى أمريكا.. وكلهم كانوا يرفعون راية الدين المسيحى، والدين المسيحى برىء مما كانوا يفعلون.. بينما كانت التعليمات إلى قادة وجنود الجيوش الإسلامية صارمة: (لا تقتلوا طفلا ولا شيخا ولا امرأة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه) فهل هناك سلوك أكثر رقىا وإنسانية من ذلك؟..

ويقول جارودي: إن الغرب غرق فى الفردية، فلم يعد للأسرة ولا للصداقة ولا للأخوة الإنسانية وجود، وتحول الإنسان إلى ذئب أمام أخيه، بينما يعلم الرسول - صلى الله عليه وسلم - المسلمين: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) و: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه) و(كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) و(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا).. هذا هو دستور الإسلام لبناء مجتمع متماسك يصون حقوق أفراد.



ويحكي جارودي تجربة دخوله في الإسلام منذ بدايتها، فيقول: بدأت إسلامي بالشهادتين، وهذا ركن الإسلام الأول وبه يسلم الإنسان قلبه لله الواحد الخالق المدبر الجدير بالعبادة وحده دون شريك.. ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام ١٠٣) ومحمد - صلى الله عليه وسلم - رسول الله المبعوث من الله للناس كافة.. ووجدت في الصلاة تعبيراً جميلاً عن اتصال الإنسان بالله، وتشعر بعظمة الإسلام حين ترى المسلمين وقد وقفوا في وقت واحد صفوفًا منتظمة متجهين إلى قبلة واحدة. وقبل الصلاة يكون الوضوء وهو نوع من الطهارة الجسدية تمهيداً للوقوف بين يدي الله.. ويتحدث عن الزكاة فيقول: إنها في الإسلام لا تعتبر صدقة.. بل هي حق معلوم للفقراء من أموال الأغنياء. والمال كله لله في مفهوم الإسلام، فالزكاة وسيلة التكافل والتضامن الاجتماعي في المجتمع الإسلامي، تزيل الحقد من نفوس الفقراء كما تزيل الجشع من نفوس الأغنياء.. أما الحج فإنه يجمع المسلمين في وقت واحد ومكان واحد أمام الله بلا تمييز طبقي ليشعرهم بعظمة دينهم ويقوى فيهم الإحساس بالترابط ويؤكد المساواة بين المسلمين أمام الله.

وعن الاقتصاد في الإسلام يقول: إنه يقوم على مبادئ مثل: التوازن في توزيع الدخل - وتحريم الاحتكار - وجعل الملكية الفردية لصالح الفرد والجماعة - واعتبار السوق وسيلة وليس غاية. وأهم من كل ذلك أن المسلم يجعل الله أمام عينيه في كل ما يقول وكل ما يعمل، ولا يسمح لنفسه بأن يتعدى حدود الله. أما في الغرب فإن الهدف هو السعى إلى المزيد من الربح، والمزيد من الإنتاج والمزيد من الاستهلاك.

ويعتبر جارودي أن وضع المرأة في الإسلام هو الوضع الأمثل، فقد رفع الظلم عنها، وساوى بينها وبين الرجل في الحقوق والواجبات.. وصان المرأة وحافظ على كرامتها. ويشير إلى وضع المرأة في الغرب على مدى العصور؛ فقد أباح سقراط أن يقرض الزوج زوجته لمن يشاء من أصدقائه. وأفلاطون قرر ضرورة شيوع النساء أي أن تكون كل النساء لكل الرجال ولا يكون لرجل امرأة بعينها والأبناء هم أبناء المجتمع !

وقد أعطى الإسلام للمرأة حقوقاً لأول مرة منها: حق التملك، وجعل لها نصيباً في الميراث بعد أن كانت هي نفسها ضمن التركة، وأعطاهم حق التعلم والعمل واختيار الزوج وطلب الطلاق. وقرر الإسلام للمرأة حقوقاً بعد الطلاق منها النفقة وحضانة الصغار. وقيد تعدد الزوجات بشرط جعله أقرب إلى التحريم وهو العدل بين الزوجات ومجرد خشية الرجل من عدم استطاعته الالتزام الدقيق بميزان العدل يجعله ملزماً بزوجة واحدة ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ (النساء ٣). ويسخر جارودي من زيادة الأطفال غير الشرعيين في المجتمعات الغربية والتفاخر بحرية العلاقات

الجنسية خارج الزواج، ويتساءل: أيهما أفضل وأكثر حماية للمرأة وللأبناء: تعدد الزوجات في إطار الشرعية أو تعدد العلاقات غير الشرعية؟



يعارض جارودي التيار الغربي الذي يتهم الإسلام بأنه دين ينتمى إلى الماضي، فيقول: إن الإسلام قوة روحية عظيمة للإصلاح وللتقدم في المستقبل كما كان دائما، كما يعارض الذين يقولون: أين هو المجتمع الإسلامي الذي يمكن أن نذهب إليه ونجد فيه الإسلام حيا وموجودا على أرض الواقع، وليس مجرد وعود ودعوات وآراء يرددها الناس بألسنتهم؟ فيقول: إن على الذين يطرحون هذا السؤال في الغرب للتشكيك في صلاحية الإسلام لبناء مجتمع حديث صالح للقرن الحادي والعشرين، عليهم أن يطرحوا على أنفسهم سؤالين على الأقل بدلا من أن ينصبوا أنفسهم أوصياء على الإسلام.

السؤال الأول: ما هو نصيب الغرب المستعمر من المسؤولية عن تخلف العالم الإسلامي وظهور التعصب فيه؟ أليس سبب التخلف هو استنزاف الاستعمار الغربي لثروات العالم الإسلامي؟ ولقد كان العالم الإسلامي تحت الحكم الاستعماري الغربي فلماذا لم يساعده الغرب على التنمية الاقتصادية والاجتماعية لسد الفجوة الحضارية؟ ثم إن التعصب ظهر في العالم الإسلامي كرد فعل طبيعي للسيطرة والاستغلال من الاستعمار الغربي، وكان التعصب وظهور الأصولية، هما كل ما تستطيع الشعوب الإسلامية عمله لكي تحافظ على هويتها وتحمي دينها، وبذلك ظل الإسلام محتفظا بنقائه ولم تستطع السيطرة الاستعمارية أن تطمس معالمه أو تغير منه شيئا. لماذا لا يسأل الغرب نفسه هذا السؤال ويعترف بمسئوليته عما وصل إليه العالم الإسلامي؟

والسؤال الثاني: لماذا يقارن معظم الباحثين الغربيين بين النظام الإسلامي كما هو عليه الآن بنظام مسيحي سقالي ليس موجودا على الإطلاق؟ ويقول جارودي هؤلاء يسألون بسخرية حمقاء: أين هو الإسلام الذي تنسبون إليه الكمال؟ وإنني أجيب: هاتوا خريطة العالم وقولوا لنا أين نجد مجتمعا مسيحيا مثاليا يطبق المسيحية ونعتبره النموذج الحي للمبادئ والتعاليم؟ وقولوا لنا لماذا تهاجمون الإسلام لأنه لم يمنع وجود المنازعات بين المسلمين على رغم أنه الدين الذي يقرر أن المسلمين إخوة ويدعو إلى الإصلاح بين الإخوة؟ وإنني أقول: إن المسيحية هي دين التسامح والإخاء والرحمة.. فكيف خرج الصليبيون باسم هذا الدين لذبح المسلمين في بلادهم؟ وكيف خرجت الجيوش الاستعمارية من دول مسيحية لغزو العالم الإسلامي الذي لم يبادر بالعدوان؟ وكيف سمح الضمير المسيحي باستغلال الشعوب الإسلامية واستنزاف ثرواتها وهو يدعو إلى العدل والحق؟ وأخيرا هل يمكن أن تشيروا إلى ما يدل في الواقع على أنكم تطبقون تعاليم المسيح وأنتم تقومون

بأعمال لا تليق بالحضارة الغربية المسيحية وتغتصبون سلطة ليست لكم حين تقومون بدور القاضي والمرشد والبوليس في بلاد ليست لكم؟.

ليس قصد جارودي أن يهاجم المسيحية، ولكنه قصد إلى تنبيه الغرب إلى أنه ينتهم الإسلام بما يجب أن ينتهم به نفسه. ومع ذلك فإنه يشرح للغربيين ما يقدمه الإسلام من حلول للمشكلات التي يعاني منها العالم. فالأصل في الإسلام أن كل شيء في الكون ملك لله، وليس ملكا للحاكم ولا لطبقة ولا للأفراد، وليس للبشر إلا (حق الانتفاع).. وللملكية وظيفة اجتماعية. ولذلك فإن على المالك - سواء كان المالك هو الدولة أم الفرد أم الجماعة - تقديم حساب لله عن ملكيته، فكأنه ليس إلا المدير المسئول أمام المالك الحقيقي.. والقرآن يحذر الذين يكنزون الأموال وهناك آيات كريمة سريعة في ذلك: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة ٣٤) ﴿وَيَلْ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٌ ۝۱ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ، ۝۲ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ، ۝۳ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝۴ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝۵ نَارُ اللَّهِ الْمَوْجِدَةُ ۝۶﴾ (الهمزة ١-٦).

ويتكرر التحذير في القرآن من اكتناز الأموال، لأن المال له وظيفة ويجب ألا يحبسه صاحبه عن النفع العام، ومن مبادئ التعمقين في فهم الإسلام أنهم لا يملكون شيئا ولا يملكهم شيء إلا الله. والإسلام فيه علاج للمشكلة الكبرى في النظام الرأسمالي، الذي يؤدي إلى الاحتكار والتحكم في الأسعار، بينما يقدم الإسلام معالجة لمشكلة الفقر عن طريق الزكاة، فالإسلام قائم على التوازن.



ويواجه جارودي الرأي الذي يتردد في الغرب بأن الإسلام دعوة للعبادة وترك الدنيا وما ترتب على ذلك من تخلف في العلوم، فيقول: إن القرآن يرفع شأن العلماء ويشجع على طلب العلم، ويؤكد ذلك أن المسلمين أسسوا نهضة علمية كبرى شملت جميع العلوم وقدم العلماء العرب إنجازات واكتشافات علمية ذات قيمة عالية كانت الأساس للنهضة العلمية لأوروبا، والحديث يؤكد على طلب العلم: (من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله طريقه إلى الجنة) (يوزن مداد العلماء بدم الشهداء يوم القيامة) والقرآن يوجه المسلمين إلى النهج العلمي القائم على الملاحظة والتجربة ويدعوهم إلى أن يسيروا في الأرض، وأن ينظروا في الآفاق وفي أنفسهم، وبذلك يوجه الباحثين إلى العلوم الطبيعية والفلكية والعلوم الإنسانية، ويربط بين العلم والإيمان، لأن الإنسانية كلما تقدمت في المعرفة ازدادت يقينا بقدرة الله وعظمته. وفي نفس الوقت فإن الإسلام ينبه العلماء إلى فضيلة التواضع لأن العلم ليس له نهاية ﴿وَقَوْفَ كُنْ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (يوسف ٧٦). ودعوة الإسلام

للمسلمين إلى البحث العلمي وجدت استجابة لها حتى إن هارون الرشيد (٧٨٦-٨٠٩م) عندما استولى على أنقرة، والخليفة المأمون (٨١٤-٨٣٣م) عندما حقق النصر على الامبراطور البيزنطي ميشيل الثالث طلبا تعويضا عن أضرار الحرب، وكان التعويض مخطوطات علمية كانت في حوزة الامبراطور، فهل هناك حس حضارى وصل إلى هذه الدرجة في التاريخ القديم والحديث؟.

واستجابة لدعوة الإسلام للمسلمين بالاشتغال بالعلم بدأت في القرن الثامن الميلادي حركة ترجمة ليس لها مثيل في التاريخ. واجتذب هارون الرشيد إلى بلاطه في بغداد كبار العلماء والفقهاء، وأنشأ المأمون بعد ذلك أول مدرسة للترجمة في العالم أدارها عالم فارسي هو (يحيى بن ماسويه) وكان طبيبا، وتولى إدارتها بعده (حنين بن إسحق) المسيحي الذي قام بترجمة أعمال (أبو قراط، وجالينوس)، ومؤلفات علماء الرياضيات والفلك والطبيعة والكيمياء والطب. ونقل المسلمون عن الصين صناعة الورق وأنشئوا أول مصنع للورق في بغداد عام ٨٠٠م ولم تعرف شعوب أوروبا صناعة الورق إلا بعد ٤٠٠ عام. وفي عام ٨١٥م أنشأ الخليفة المأمون في بغداد (بيت الحكمة) وكان يضم مليون مؤلف، وذكر أحد الرحالة الغربيين أنه قام بإحصاء مائة مكتبة عامة في بغداد عام ٨٩١م. وفي القرن العاشر كانت مدينة صغيرة مثل النجف في العراق تملك ٤٠ ألف مجلد. وجمع مدير المرصد ناصر الدين الطوسي مجموعة من الكتب بلغت ٤٠٠ ألف مجلد. وفي الأندلس (أسبانيا) في القرن العاشر الميلادي كان في مكتبة قرطبة ٤٠٠ ألف كتاب، في حين كانت أكبر مكتبة في أوروبا للملك فرنسا تضم ٩٠٠ كتاب فقط وكان ذلك بعد ٤٠٠ عام من إنشاء مكتبات الأندلس، وليس في التاريخ من ينافس الخليفة العزيز الذي حكم مصر وأنشأ فيها مكتبة تحتوي على مليون و٦٠٠ ألف مجلد منها ٦ آلاف مجلد في الرياضيات و١٨ ألف مجلد في الفلسفة.



يلق جارودي على هذه الحقائق التاريخية فيقول: إن المسلمين أسسوا نهضة بالمعنى الكامل، شملت الصناعات، والبحث العلمي، والعلاقات الاجتماعية، والثقافة، وهم أول من طبق سياسة الانفتاح على العالم، فأخذوا من القديم والحديث، ومن الشرق والغرب، وتفاعلوا مع الحضارات والثقافات التي كانت قائمة في تلك العصور وكان أهمها حضارة اليونان القديمة، وحضارة الهند والصين المعاصرتان. هذا في الوقت الذي كانت فيه الكنيسة تحكم بالإعدام على العلماء الذين قالوا إن الأرض كروية، وأنها تدور حول نفسها، وكانت محاكم التفتيش في أسبانيا تحكم بالحرق على المسلمين وعلى الكتب في القرن السادس عشر بعد طرد المسلمين منها.

ويذكر جارودي أسماء جحافل من علماء العرب الذين أسسوا العلوم وأبدعوا في الطب والرياضيات والكيمياء والجغرافيا.

ويصل جارودي إلى الظلم الذي يلحق بالإسلام حين يقال: إنه السبب في تخلف الدول الإسلامية في مجالات البحث العلمي في العصر الحديث، ويذكر أن الجامع الذي كان يعلم الدين كان جامعة للعلوم الطبيعية مثل جامعة القيروان في فاس، وجامعة الزيتونة في تونس، والأزهر في مصر، وجامعة سمرقند، وجامعة قرطبة. فقد كانت مراكز للعلوم وللتعليم الديني في نفس الوقت. ويذكر جارودي لقائه في الغرب أن أول مرصد فلكي في العالم أنشأه الخليفة الأموي عبد الملك في دمشق عام ٧١٧م- وهو أيضا أول من أنشأ المستشفيات وجعلها كليات للطب، بينما أنشئت كليات الطب في أوروبا بعد ذلك نقلا عن العالم الإسلامي، وكانت تدرس المناهج والعلوم التي تدرسها الكليات الإسلامية. وكان منها كلية (ساليرن) في إيطاليا، وكلية (مونبلييه) في فرنسا. وحتى أعرق الجامعات الأوروبية أنشئت على النموذج الإسلامي بعد ثلاثة قرون من نشأة الجامعات الإسلامية، وهذا ينطبق على جامعة باريس، وجامعة أكسفورد وهما أقدم الجامعات الأوروبية.

ويذكر جارودي كيف تعلم الغرب من علم العلماء المسلمين؛ فقد كان الخوارزمي هو مؤسس علم الرياضيات الذي نقله الغرب، وهو مؤسس علم الجبر وهو صاحب هذه التسمية التي ما زالت اسما لهذا العلم بكل اللغات الأوروبية، وثابت بن قرة هو مؤسس علم حساب التكامل وأول من ربط الهندسة بالجبر. وكان علماء العرب: الطوسي، والبيروني، والبوزجاني أسبق من كوبرنيكوس في الغرب بعدة قرون. وكان مرصد بغداد سابقاً في دراسة واكتشاف الكواكب وحركتها بصورة منهجية، وتعددت المراصد في جند يسابور، وبيجوار دمشق. وكان من دوافع التقدم العلمي حرص المسلمين على التدقيق في معرفة الاتجاه إلى مكة لتحديد القبلة للصلاة، وتحديد مواقيت الصلاة بدقة، كما كان الحرص على أداء فريضة الصيام يوجب ملاحظة دقيقة للشمس ومعرفة ساعة شروقها وغروبها، وكان تحديد بداية ونهاية شهر رمضان دافعا للتعمق في دراسة علوم الفلك وإنشاء المراصد العلمية. وبنفس الروح تفوق البيروني في علم الجغرافيا وما زال كتابه (الآثار الباقية عن القرون الخالية) شاهدا على ما بلغه علماء المسلمين من تقدم في مناهج البحث العلمي. وكان الملاحون المسلمون يجوبون المحيط الهندي منذ القرن التاسع الميلادي. وفي القرن العاشر قدم التاجر العربي سليمان أول وصف للصين قبل ماركوبولو (١٢٥٤-١٣٢٤) بثلاثة قرون. وكان ابن بطوطة (١٣٠٤-١٣٥٦) الرحالة العظيم أول من دل العلماء على وصف جميع البلدان العربية حتى بخارى وأفغانستان والهند وسيلان والصين. وكان الجغرافي المسلم العظيم الإدريسي (المولود في ١١٠١م) أول من قام بتأليف كتب مزودة بخرائط للعالم في القرون الوسطى، وقدم مساهمة رئيسية للملاحة، واستندت خرائطه على تحديد دقيق لخطوط الطول والعرض، ورسم الشواطئ ومجاري الأنهار. والإنسانية مدينة للعالم المسلم ابن ماجد الذي ولد عام ١٤٣٠م صاحب أهم كتاب في الملاحة (الفوائد في أصول علم البحر) وكان بحارا عظيما أطلق عليه اسم (أسد العواصف)، ويحاول الباحثون

الغربيون أن يغفلوا أنه هو الذي قاد أسطول فاسكو دي جاما البرتغالي من الشاطئ الأفريقي إلى كالكوفا في الهند عام ١٤٩٨، وكان فاسكو دي جاما يعتبره (كنزا عظيما).



ويستمر جارودي في ذكر فضل الإسلام والمسلمين على الحضارة الغربية إلى أن يصل إلى أن المسلمين هم أول من أنشأ الحدائق الجميلة كما في أصفهان، وشيراز، وقصر الحمراء، وجنة العريف في غرناطة.

وفي علم الجيولوجيا كان علماء المسلمين أسبق من علماء أوروبا بقرون، ودرسوا الجبال والسهول، والمحيطات والأنهار، والمياه الجوفية، وقد تعلم المهندس الإيطالي (جيراردو توربانو) من المسلمين أصول الهيدروليكا في طليطلة، كما درس كيفية صنع المهندسين المسلمين للنافورات ونضاجات الماء المستخدمة للرعى وطواحين الهواء والآلات الموسيقية. وكانت اكتشافات واختراعات المسلمين الأساس الذي بدأ منه (تورينشلي) في إيطاليا في القرن الرابع عشر اختراع مقياس الضغط الجوي (البارومتر). كما كان لعلم المسلمين الفضل في نشأة علوم الميكانيكا في أوروبا.



ويتوقف جارودي بإعجاب شديد عند ابن خلدون، ويرى أنه رجل يندر أن يكون له مثيل، فهو ذو فكر شامل.. فنان، ورجل دولة، وفقهه، ورجل قانون، وفيلسوف.. كل ذلك في رجل واحد. (١٣٣٢-١٤٠٦م). وسيظل مذكورا في التاريخ بمؤلفه العظيم الذي وضعه في القرن الرابع عشر الميلادي وأسس به علم التاريخ وعلم الاجتماع، وكان أول من وضع نظرية علمية لارتقاء الحضارات وانهارها، ونظرية في أصول الحكم، ووضع النهج العلمي للبحث التاريخي الذي يقوم على التفسير والتعليل ولا يكتفي بسرد الأحداث، وكان ابن خلدون على وعى بأنه يؤسس علما جديدا ولذلك كتب في المقدمة الشهيرة: (.. ابدأ بذكر الأسباب العامة في دراسة الأحداث الخاصة.. وسأتناول التاريخ بالتفسير والتعليل مرجعا الأحداث إلى أسبابها وأصولها.. وطريقتنا في معالجة هذا الموضوع تشكل علما جديدا قائما بذاته) وهو أيضا أول من ربط بين الملاحظة الشخصية والتفكير النظري، وأول من لفت الأنظار إلى أثر المناخ والجغرافيا والاقتصاد على حياة الشعوب، وأول من درس بنية المجتمعات وتقسيم العمل، وأول من قال بأن (ما نلاحظه من اختلافات في عادات الشعوب وأفكارها مرده إلى الطريقة التي تتدبر بها قوتها)، وربط بذلك بسين الاقتصاد والظواهر والعلاقات الاجتماعية. وهو أول من وجه النقد إلى المؤرخين الذين اكتفوا بتسجيل وقائع التاريخ دون بحث عن الأسباب الظاهرة والخفية وراء الأحداث التاريخية.

ويطالب جارودي علماء الغرب بالاعتراف بأن علماء الطب المسلمين هم أول من اكتشف العلاقة بين الحالة النفسية والحالة الجسمانية التي اكتشفت حديثا باسم (السيكوسوماتيك). ويقول: إن

الكنيسة وفتت في وجه نمو الطب وتطوره، وفي عام ١٢١٥م أصدر البابا أنوسانت الثالث القرار التالي: (يحظر، تحت طائلة الحرمان، على كل طبيب العناية بمريض إذا لم يعترف ويقر بذنوبه، لأن المرض ينجم عن الخطيئة).

ويعلق جارودي على ذلك بأن نتيجة لهذا التفكير فإن كلية الطب في باريس لم تكن تملك - منذ ٦٠٠ عام - سوى مجلد واحد في كل العلوم الطبية في العالم، وكان هذا المجلد للرازي العالم المسلم، الذي ما زال تمثاله قائما في هذه الكلية إلى جانب تمثال ابن سينا حتى اليوم. وموسوعة الرازي الطبية هي المؤلف العلمي الوحيد الذي استمر تأثيره يشع في الغرب عشرة قرون. وقد طبع بحث الرازي أكثر من أربعين طبعة وهو عن بعض الأمراض مثل الجدري والحصبة وقد كتبه في مطلع القرن العاشر الميلادي، وظل المرجع الوحيد ألف عام. أما ابن سينا فكان تأثيره في الغرب يفوق التصور، فقد ظل كتابه (القانون) الذي ترجمه إلى اللاتينية (جيرارد دي كريمون) هو موسوعة الطب التي تدرّس في أوروبا حتى عصر النهضة وتميز بوضوح تصنيف الأمراض، والدراسة المنهجية لأعراض كل منها، وطريقة تشخيص الأمراض وبخاصة أمراض الكلى، والرئة، وخراج الكبد، وغيرها من الحالات الدقيقة. وكان ابن سينا- مثل الرازي- عبقرية شاملة.. كان طبيبا، عالما في الفيزياء، وفيلسوبا، عالما دينيا، وشاعرا. كذلك كان الحسن بن الهيثم المولود في البصرة عام ٩٦٥ ميلادية والمتوفى في القاهرة عام ١٠٣٩م الذي كان عالما عظيما في الرياضيات، والفلك، والهندسة، وعلم البصرات، ونقل روجر بيكون مؤسس المنهج العلمي الحديث كتاب ابن الهيثم عن تشريح العين وكيفية الإبصار، وكتب روجر بيكون: (إن الفلسفة مستخلصة من العربية). كما كان ابن الهيثم أول من قدم وصفا تشريحيًا للعين. وكان أبو القاسم الموصلي أول من يعالج العتامة في عدسة العين بإجراء جراحة دقيقة بواسطة الامتصاص بإبرة مجوفة وذلك في عام ١٠٠٠م. ولم ينجح الغرب في إجراء مثل هذه العملية إلا في عام ١٨٤٦م أي بعد ٨ قرون!

وكان العالم المسلم ابن النفيس المتوفى عام ١٢٨٨م أول من اكتشف الدورة الدموية الصغرى قبل هارفي بأربعمائة سنة، وقبل ميشيل سيرفيت بثلاثمائة سنة. ووصف أحد تلاميذ ابن الهيثم (ابن القف) الأوعية الشعرية في العين التي لم يتعرف إليها أول عالم غربي (مالبيجي) إلا عام ١٦٦٠م بالميكروسكوب بعد ثلاثمائة سنة. وقد استخدم المسلمون المصل الواقي من الجدري قبل اكتشاف أول عالم غربي لهذا المصل (جيبينر) بألف سنة. ودرس العالم الجراح الأندلسي أبو القاسم المتوفى عام ١٠١٣م مرض السل الذي يصيب الفقرات قبل أول عالم غربي (بيرسيفال بوت ١٧١٣-١٧٨٨م) بسبعمائة وخمسين سنة، واخترع طريقة لربط الشرايين بعد بتر الأعضاء قبل أول عالم غربي (امبرواز باريه ١٥١٧-١٥٩٠م) بتسعمائة سنة، وكان له الفضل في اختراع أدوات جراحية لم تكن معروفة وبعضها ما زال يستخدم إلى اليوم بعد تطويرها بالتكنولوجيا الحديثة.



إن جارودي يعلن للعالم أنه لم يعتنق الإسلام إلا بعد أن تعمق في دراسة أصول الدين ومبادئ الشريعة والفقه، والتعرف إلى تاريخ الحضارة الإسلامية بالتفصيل، وهو في ذلك قد تفوق على كثير من المسلمين الذين لا يعرفون فضل الإسلام والحضارة الإسلامية على النهضة العلمية والاجتماعية والفكرية التي تباهى بها دول الغرب اليوم.

ولأن جارودي اكتشف المنبع، فقد عاد إليه مخلصاً بعد رحلة طويلة عايش فيها الإلحاد، والشك، والفلسفة المادية، والفكر الماركسي، والحضارة الغربية، ثم وصل إلى اليقين، وكان صوته مدوياً في الغرب دفاعاً عن الإسلام، وتحمل بسبب ذلك الكثير من الاضطهاد والمطاردة إلى حد محاكمته والتهديد بسجنه، ولكنه مثل كل المؤمنين الصادقين الذين يختبر الله صدق إيمانهم، وعندما يثبتون على الحق يجزيهم بأحسن ما عملوا.